د. صلاح الدين بن أحمد الأدلبي

منهج نقد المتن

عند علماء الحديث النبوي

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور نفوسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد، فهذه دراسة سميتها «منهج نقد المتن عند علماء الحديث النبوي»، راجياً من الله تعالى أن يوفقني فيها الى تبيين منهج نقد المتن، وسبق المسلمين الى الاعتماد عليه ووضع منهجيته.

وينقسم البحث في هذه الدراسة الى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة:

- التمهيد.
- الباب الأول: الظواهر الموجبة لإعتماد نقد المتن.
- الباب الثاني: نقد المتن واعتماده عند الصحابة وعلماء الحديث.
- الباب الثالث: معايير نقد المتن.
- الخاتمة.

تمهيد

الفرع الأول: التحذير النبوي من الروايات المنكرة

المسألة الأولى: المنهج السليم المقبول

فرض الله تعالى طاعةَ رسوله، واتباعَ أوامرِه، كما أكد الرسول ﷺ ذلك في أحاديثَ كثيرة، ومناسبات متنوعة، ولم يؤكد على اتباع أوامره فحسب، وانما أشار الى ما قد يتبادر لبعض الناس، وهو أن القرآن الكريم بأيديهم فليعملوا به وليكتفوا، فحذر ﷺ من هذه الفكرة، لأن القرآن نزل للتركيز والتأكيد على الأحكام العامة غالبا، أما الأحكام العملية التفصيلية، فلا بد من الرجوع فيها الى السنة، وهذا شيء مقرر ومعروف في علوم الحديث. الا أني أورد هنا في هذا المعنى حديثين نبويين:

١ - عن المقدام بن معديكرب، عن رسول الله ﷺ انه قال: «ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه، لا يوشك رجل شبعان على أريكته، يقول عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه. ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا أكل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد، الا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم[1] بمثل

(١) يقال عقبهم، بالتشديد، وبالتخفيف، وأعقبهم: إذا أخذ منهم عقبى، أو عقبة، وهو أن يأخذ منهم بدلاً عما فاته. والمراد هنا أن يأخذ منهم عوضا عما حرموه من القرى. (انظر النهاية: ٣/١٢٧ - ١٢٨).

قراه »[1].

٢ - عن أبي رافع عن النبي ﷺ قال: «لا ألفين أحدكم منكئا على أريكته، يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه »[2].

وقد حذر النبي ﷺ من الكذب عليه، وقال: «من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار »[3].

ولكن كيف يمكن اكتشاف الكذب عليه؟ وهل أشار في أحاديثه الكريمة الى هذا؟.

جعل النبي ﷺ الفارق بين ما يمكن أن يكون من كلامه، وما لا يمكن، هو أن كلامه من «المعروف»، بينما لا يمكن أبدا أن يقول «المنكر». فما هو المعروف؟ وما هو المنكر؟

لا شك في أن الرسول ﷺ كان يخاطب أصحابه، الذين يعايشون معه أحكام الاسلام وتشريعاته، ويشاهدون أسباب نزول الآيات القرآنية، وأسباب ورود الأحاديث النبوية، ويمتزجون بروح سيرته وشمائله، فهؤلاء يمكنهم أن يدركوا ما هو المعروف فيصدقوا به، وما هو المنكر فيكذبوا به.

وقد بين الرسول ﷺ هذا المعنى، وبين أن العبرة بما عرفته القلوب، أو أنكرته، وأن أحاديثه موافقة لكتاب الله وسنة نبيه، أي طريقته عليه الصلاة والسلام، وان ما خالف كتاب الله وسنة نبيه فهو مردود، وهذه بعض الأحاديث النبوية في هذا الشأن:

١ - روى البخاري والنسائي، عن علي رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ سرية، واستعمل عليها رجلا من الأنصار، وأمرهم أن

---

(١) سنن أبي داود: رقم الحديث ٤٦٠٤. ومسند الامام أحمد: ١٣١/٤.

(٢) سنن أبي داود: رقم الحديث ٤٦٠٥ ورواها الحاكم في المستدرك

(٣) حديث متواتر.

يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟. قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطبا. فجمعوا، فقال: أوقدوا نارا. فأوقدوها، فقال: ادخلوها. فهموا، وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون: فررنا الى النبي ﷺ من النار. فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي ﷺ، فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها الى يوم القيامة، الطاعة في المعروف»[1].

٢ - روى الخطيب، عن مسلم بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تعرفوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، أن يضلوكم أو يفتنوكم»[2].

٣ - روى الخطيب، عن جبير بن مطعم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما حدثتم عني مما تعرفونه فخذوه، وما حدثتم عني مما تنكرونه فلا تأخذوا به» قال: «فإني لا أقول المنكر»[3].

وروى ابن الجوزي منه قوله: «ما حدثتم عني بما تنكرونه فلا تأخذوه، فإني لا أقول المنكر». وروى عن الأوزاعي أنه قال: (كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابه كما يعرض الدرهم الزائف، فما عرفوا منه أخذنا، وما أنكروا منه تركنا)[4].

وقد حكم الذهبي على هذا الحديث بالنكارة، فقال في ترجمة الفضل ابن سهل الأعرج، من رجال البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي

---

(١) صحيح البخاري: ١٢١/٩. وسنن النسائي: ١٥٩/٧. ويشهد لهذا الحديث قوله تعالى «ولا يعصينك في معروف». من الآية القرآنية الكريمة: «يا أيها النبي إذا جاءك المومنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، ولا يعصينك في معروف، فبايعهن واستغفر لهن الله، ان الله غفور رحيم»، الآية ١٢ من سورة الممتحنة ٦٠.

(٢) الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي: ص٤٢٩.

(٣) المرجع السابق: ص٤٣٠. وفي طبعة دار الكتب الحديثة لكتاب الكفاية، جاء النص فيها: «فإني لا أقول المنكر، ولست من أهله»، ص٦٠٣.

(٤) الموضوعات لابن الجوزي: ١٠٣/١.

والنسائي: (ثقة، قال أبو حاتم صدوق، وقال النسائي ثقة) ثم قال: (ومن مناكيره روى بإسناده عن أبي هريرة مرفوعا: إذا حدثتم عني حديثا تنكرونه فكذبوا به)[1]. وربما كان وصفه له بالنكارة بسبب أنه معروف من مسند جبير بن مطعم، فجعله هذا الراوي من مسند أبي هريرة، وإذا تفرد بهذا فيكون الحكم بالنكارة على الاسناد، وليس على المتن، واطلاق لفظ النكارة على مجرد التفرد موجود في كلام كثير من أهل الحديث، كالإمام أحمد والنسائي وغيرهما[2].

٤ - روى الإمام أحمد، عن عبدالملك بن سعيد بن سويد، عن أبي أسيد، أو أبي حميد الساعدي، ان النبي ﷺ قال: «إذا سمعتم الحديث عني، تعرفه قلوبكم، وتلين له أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم قريب، فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني، تنكره قلوبكم، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم، وترون أنه منكم بعيد، فأنا أبعدكم منه»[3]. ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي[4]، وأخرجه الخطيب[5].

قال ابن كثير: (رواه الإمام أحمد رضي الله عنه بإسناد جيد، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب)، وقال: (اسناده صحيح، وقد أخرج مسلم بهذا السند حديث «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل اللهم اني أسألك من فضلك)[6].

وقال ابن عراق: (وسنده صحيح كما قاله القرطبي وغيره)[7]

وقال الفتني: (وأخرج أحمد بسند على شرط الصحيح اذا سمعتم

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي: ٣٥٢/٣.

(٢) مقدمة ابن الصلاح: ص١٠٦. وتوضيح الأفكار للصنعاني: ٦/٢.

(٣) مسند الامام أحمد: ٤٩٧/٣ و٤٢٥/٥. ولكن رغم صحة إسناده فقد أعله ابن رجب بالوقف على أبي بن كعب (جامع العلوم والحكم: ص٢٢٤).

(٤) الموضوعات لابن الجوزي في المقدمة: ١٠٣/١.

(٥) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ص٤٣٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٣٣/٣، ٥٧٢.

(٧) تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق: ٧/١.

الحديث عني...)[1].

٥ - روى الإمام أحمد، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من حدث عني حديثا يرى انه كذب فهو أكذب الكاذبين». وروى الإمام أحمد والترمذي، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ انه قال: «من روى عني حديثا وهو يرى انه كذب فهو أحد الكذابين»[2].

٦ - ويلتحق بهذه الأحاديث حديث ضعيف الاسناد، ولكنه يتمشى مع روح المنهج السليم، وليس فيه ما ينكر، وهو ما رواه الخطيب، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ انه قال: «سيأتيكم عني أحاديث مختلفة، فما جاءكم موافقا لكتاب الله وسنتي فهو مني، وما جاءكم مخالفا لكتاب الله تعالى وسنتي فليس مني»[3].

فهذه الأحاديث النبوية حذرت مما تنكره قلوب المؤمنين، وأشارت الى أن للقلوب النيرة إشرافا على معرفة ما يمكن أن يكون من كلام النبوة، ولعل وصف النبي ﷺ للاثم بأنه ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، يمكن أن ينسحب على المنكر، فقد روى مسلم عن النواس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «البرّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»، وروى الإمام أحمد والدارمي في مسنديهما، بإسناد حسن، عن وابصة بن معبد رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال له: «البر ما اطمأنت اليه النفس، واطمأن اليه القلب، والاثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدور، وان أفتاك الناس وأفتوك»[4]. قال ابن رجب: (فهذا يدل على أن الحق والباطل لا

---

(١) تذكرة الموضوعات للفتني: ص٢٨.

(٢) مسند الامام أحمد: ١/١١٣ و٤/٢٥٠، ٢٥٢، ٢٥٥. وسنن الترمذي: ١٠/١٢٩. ورواه مسلم في مقدمة الصحيح.

(٣) الكفاية في علم الرواية: ص٤٣٠. وضعفه ابن تيمية (انظر مجموع فتاوى ابن تيمية: ١٨/٣٨٢).

(٤) كتاب الأربعين النووية للامام النووي: رقم الحديث ٢٧

يلتبس أمرهما على المؤمن البصير، بل يعرف الحق بالنور الذي عليه، فيقبله قلبه، وينفر عن الباطل، فينكره ولا يعرفه)[1].

ثم قال ابن رجب بعد أن ذكر بعض الأحاديث المتقدمة في رد المناكير: (وانما يحمل مثل هذه الأحاديث، على تقدير صحتها، على معرفة أئمة أهل الحديث، الجهابذة النقاد، الذين كثرت دراستهم لكلام النبي ﷺ، ولكلام غيره، ولحال رواة الأحاديث ونقلة الأخبار، ومعرفتهم بصدقهم وكذبهم، وضبطهم وحفظهم، فإن هؤلاء لهم نقد خاص في الحديث، مختصون بمعرفته، كما يختص البصير الحاذق بمعرفة النقود، جيدها ورديئها، وخالصها ومشوبها، والجوهري الحاذق في معرفة الجوهر، بإنقاد الجواهر، وكل من هؤلاء لا يمكن أن يعبر عن سبب معرفته، ولا يقيم عليه دليلا لغيره)[2].

المسألة الثانية: المنهج الباطل المكذوب:

الى جانب الأحاديث التي حذرت من المناكير، وجعلت المقبول هو «المعروف»، والمردود هو «المنكر»، رويت بعض الأحاديث لترسم منهجاً آخر، فبينما المنهج الأول يمكن أن نعتبره سليماً مقبولا، لأنه تشهد له آيات القرآن، ولا يصطدم بأحكام العقل السليم، نلاحظ أن المنهج الثاني باطل مكذوب، لأنه لا يتفق مع آيات القرآن، ولا مع أحكام العقل، ويؤيد وجهة الزنادقة والوضاعين، الذين لا يجدون حكمة ولا قولا حسناً، إلا ركبوا له إسناداً، ونسبوه الى رسول الله ﷺ.

وهذه بعض الأحاديث التي نسبوها الى النبي ﷺ، لتؤيد وجهتهم، وتزكي طريقتهم:

١ - روى ابن الجوزي في الموضوعات، من طريق أشعث بن نزار، عن قتادة، عن عبيد الله بن شقيق، عن أبي هريرة، ان النبي ﷺ قال:

---

(١) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للحافظ ابن رجب: ص٢٢٢.

(٢) المرجع السابق: ص٢٢٤.

«اذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به، حدثت به أو لم أحدث».[1]

ثم نقل ابن الجوزي عن العقيلي أنه ليس لهذا اللفظ عن النبي ﷺ اسناد يصح، وأن للأشعث هذا غير حديث منكر، ونقل عن يحيى بن معين أن هذا الحديث وضعته الزنادقة، وعن الخطابي أنه باطل لا أصل له.

وأورد الذهبي هذا الحديث، وقال منكر جدا، في ترجمة أشعث بن نزار الهجيمي وقال: (ضعفه ابن معين وغيره، وقال النسائي متروك الحديث، وقال البخاري منكر الحديث)[2].

٢ - روى ابن ماجه عن المقبري، عن جده، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ انه قال: «لا أعرفن ما يحدث أحدكم عني الحديث وهو متكىء على أريكته، فيقول اقرأ قرآنا، ما قيل من قول حسن فأنا قلته».[3]

٣ - روى الإمام أحمد، عن سعيد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أعرفن أحدا منكم أتاه عني حديث وهو منكىء في أريكته، فيقول اتلوا علي به قرآنا، ما جاءكم عني من خير قلته أو لم أقله فأنا أقوله، وما أتاكم عني من شر فأنا لا أقول الشر»[4].

ولعل هذا المروي والذي قبله، مما أخذ صدره من حديثي المقدام بن معد يكرب وأبي رافع، المتقدمين أول المسألة السابقة، ثم ركب تتمته، ثم

---

(١) الموضوعات لابن الجوزي: ١/٢٥٧ - ٢٥٨. وأورده السخاوي في المقاصد الحسنة بلفظ: «إذا حدثتم عني بحديث يوافق الحق فصدقوه وخذوا به، حدثت به أو لم أحدث»، وقال: رواه الدارقطني في الأفراد، والعقيلي في الضعفاء. (رقم الحديث: ٥٩) وانظر: تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لابن عراق: ١/٢٦٤. وسقط لفظ «به» في الموضوعات من قوله «حدثت به أو لم أحدث».

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي: ١/٢٦٢ - ٢٦٣.

(٣) سنن ابن ماجه: رقم الحديث: ٢١ وهذا المتن مما انفرد به عن باقي الستة.

(٤) مسند الامام أحمد: ٢/٣٦٧.

ركبت له الأسانيد وجعل عن أبي هريرة.

٤ - روى ابن الجوزي، من طريق البختري بن عبيد، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حدث عني حديثا هو لله رضى فأنا قلته وبه أرسلت»، ثم قال: (وهذا حديث باطل، قال ابن حبان: لا يحل الاحتجاج بالبختري اذا انفرد)[١].

٥ - قال الذهبي في ترجمة بسام بن خالد: (روى ابن أبي حاتم في العلل، من طريقه، عن أبي هريرة مرفوعا: «اذا بلغكم عني حديث يحسن بي أن أقوله فأنا قلته، واذا بلغكم عني حديث لا يحسن بي أن أقوله فليس مني ولم أقله». قال أبو حاتم: هذا منكر، والثقات لا يرفعونه[٢].

٦ - نقل ابن عبد البر عن عبد الرحمن بن مهدي أن الزنادقة والخوارج وضعوا هذا الحديث، وهو ما روي عنه ﷺ انه قال: «ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وان خالف كتاب الله فلم أقله، وإنما أنا موافق كتاب الله، وبه هداني الله». وقال ابن عبد البر إن هذه الألفاظ لا تصح عنه ﷺ، عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم، وقالوا نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء، ونعتمد على ذلك، قالوا فلما عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفا له، لأنا لم نجد في كتاب الله ان لا يقبل من حديث رسول الله ﷺ الا ما وافق كتاب الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به، والأمر بطاعته، ويحذر المخالفة عن أمره جملة على كل حال[٣].

ويكفي في بيان رد هذه الأحاديث، ما فيها من التصديق بكل ما

---

(١) الموضوعات: ١/٩٨.

(٢) ميزان الاعتدال: ١/٣٠٨.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: ٢/١٩١. وانظر: عارضة الأحوذي لابن العربي: ١٠/١٣٢ - ١٣٣. وتذكرة الموضوعات للفتني: ص٢٨.

ينسب الى النبي ﷺ، اذا وافق الحق، سواء حدث به أو لم يحدث به! وكذا كل ما جاء عنه من خير، سواء قاله أو لم يقله! وكذا كل قول حسن! وكل حديث هو لله رضى! وكل حديث يحسن به أن يقوله!.

ولهذا عنونت على هذا المنهج بقولي: المنهج الباطل المكذوب.

ولعل أمثال هذه الأحاديث من الموضوعات، هي التي أعطت سندا للوضاعين، وخاصة الذين كانوا يضعون الأحاديث بزعمهم حسبة وتقربا الى الله، فكثرت الأقوال المنتحلة، من حكم أهل الكتاب، والفرس، والهنود، والزهاد، والأطباء، والقصاص، وغيرهم، ولكن العلماء النقاد، كشفوا النقاب عن هذه الأحاديث، وبينوا انها موضوعة، كما مر من كلام يحيى بن معين، وعبد الرحمن بن مهدي، والعقيلي، والخطابي، وابن الجوزي، والذهبي، وغيرهم كثير.

الفرع الثاني: من أقوال علماء الحديث في رد الروايات المنكرة:

رويت عن العلماء أقوال كثيرة ومهمة، في رد المنكر من الروايات، وليس الغرض استقصاءها، ولكن أقدم جملة منها، بين يدي معايير نقد المتون.

قال الربيع بن خثيم: (ان من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار، نعرفه به، وان من الحديث، حديثا له ظلمة كظلمة الليل، نعرفه بها)[1].

وهذه الكلمة ان هي الا قبس من الأحاديث النبوية السابقة، التي مهدت للعلماء القول برد الروايات المنكرة.

وقال الخطيب البغدادي: (ولا يقبل خبر الواحد في منافاة حكم العقل، وحكم القرآن الثابت المحكم، والسنة المعلومة، والفعل الجاري مجرى السنة، وكل دليل مقطوع به)[2]. وقال: (وكل خبر واحد، دل

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم: ص٦٢.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ص٤٣٢.